DOI: 10.18860 /ijazarabi.v5i3.17226
ISSN(print): 2620-5912 | ISSN(online): 2620-5947

The Influence Of Letters Of Meanings In Determining The Meaning: An Applied Study of the Verses' Interpretation of the Determining the Fetus Gender Timing in Contemporary Exegeses

أثر حروف المعاني في توجيه المعنى - دراسة تطبيقية في تفسير آيات توقيت تحديد جنس الجنين في التفاسير المعاصرة

Ahmad S. Burhan*[1], Abdulaziz E. Hajji[2], Ali M. Asaad[3], Fehmieh R. Nawaya[4]
[1,2,4]Damascus University, Syria, [3]Sultan Qaboos University, Oman.
dr.burhan-a@hotmail.com[*1], hajji2010@hotmail.com[2],
alkarem2017@hotmail.com[3], dr.nawaya-f@hotmail.com[4]

Abstract
Teaching the use of letters of meanings is an essential part of teaching the Arabic language, as these letters affect the meaning of speech, and their grammatical and semantic functions are synergistic to determine the meanings. The research aims to clarify the effects of the letters of meanings in determining the meaning by conducting an applied study on the verses that talk about the timing of determining the gender of the fetus in the Holy Qur'an. This topic was chosen for the presence of three verses that talk about it, each containing one of the letters of meaning. Thus, by studying the interpretations said, it is possible to determine the impact of the presence of these tools in the verses on determining their meanings. A complete extrapolation included what was mentioned in the most critical contemporary interpretations of the Holy Qur'an about the interpretation of the verses under study. Since this applied study deals with a topic of empirical science, it was helpful to cite the most important scientific references related to this topic. Both analytical and critical methods were assumed. The results proved the significance of the letters of meanings in determining the meanings and that they are indispensable in text understanding. It seems by specifying the semantics of (if) in the two verses of Surat An-Najm that they talk about the timing of determining the chromosomal sex of the fetus that occurs when the sperm fertilization occurs, while the letters (afterwhile and then) in the verses of Surat Fatir and Surat Qiyamah indicate that the verses talk about the timing of determining the organic sex of the fetus represented by the formation of genitals. By reviewing the textbooks of embryology and obstetrics, it was possible to clarify the accuracy of the meanings given by these letters. It is recommended to give the letters of meanings more attention during the educational process because of their widespread use in the Arabic tongue and their significant impact on the meanings that speech carries and performs.
Keywords: Letters of Meanings; Determining The Meaning; Fetus Gender; Applied Study; Contemporary Exegeses.

المستخلص

يُعَدُّ تعليم استخدام حروف المعاني جزءًا مهمًا من تعليم اللغة العربية، حيث تؤثر هذه الحروف في معاني الكلام، وتتآزر وظائفها النحوية والدلالية لتوجيه المعاني. يهدف البحث إلى تبيان أثر حروف المعاني في توجيه المعنى من خلال إجراء دراسة تطبيقية على الآيات التي تتحدث عن توقيت تحديد جنس الجنين في القرآن الكريم، وقد تم اختيار هذا الموضوع لوجود ثلاث آيات تتحدث عنه تحوي كل واحدة منها أحد حروف المعاني، وبالتالي يمكن من خلال دراسة الأقوال التي قيلت في تفسيرها تحديد تأثير وجود هذه الحروف في الآيات على توجيه معانيها. تم في هذه الدراسة إجراء استقراء تام لما ورد في أهم التفاسير المعاصرة للقرآن الكريم حول تفسير الآيات موضوع الدراسة، وبما أن هذه الدراسة التطبيقية تتضمن موضوعًا من مواضيع العلم التجريبي فقد كان من المفيد العودة إلى أمَّات المراجع العلمية المتعلقة بهذا الموضوع. اعتُمِد في البحث المنهج التحليليّ النقدي، أظهرت النتائج أهمية حروف المعاني في توجيه المعنى، وكونها لا يُستغنى عنها في فهم النصوص. ويبدو من خلال تحديد دلالات (إذا) في آيتي سورة النجم أنهما تتحدثان عن توقيت تحديد الجنس الصبغي للجنين الذي يحدث مع إمناء النطفة وحدوث الإلقاح، بينما أفاد ورود حرفَي ثم والفاء في آيات سورتي فاطر والقيامة أن الآيات تتحدث عن توقيت تحديد الجنس العضوي للجنين المتمثِّل بتشكُّل أعضائه التناسلية، وقد أمكن من خلال العودة إلى أمَّات المراجع المتعلِّقة بعلم الجنين وطب التوليد تجلية دقة المعاني التي أدتها هذه الحروف. يوصى بإعطاء حروف المعاني مزيدًا من الاهتمام في العملية التعليمية، لشيوع استعمالها في اللسان العربي، ولما لها من تأثير كبير على المعاني التي يحملها الكلام ويؤديها.

الكلمات الرئيسة: حروف المعاني؛ توجيه المعنى؛ جنس الجنين؛ دراسة تطبيقية؛ التفاسير المعاصرة.

مقدمة

تشكِّل حروف المعاني جزءًا أساسيًّا من الكلام، ويمكن القول إن لها وظيفتين أساسيتين؛ الأولى: وظيفة نحوية؛ وهي تحقيق الترابط بين مكونات الجملة أو الكلام، سواء أكانت عاملة أم غير عاملة، والثانية: وظيفة دلالية معنوية؛ وهي المساهمة في تحديد دلالة السياق، وفي المحصلة النهائية فإن وظائفها متكاملة ومتداخلة تنصهر فيها العناصر النحوية بالمكونات الدلالية (Al-Sharīf 1996 w)، وهذا يؤكد أهمية حروف المعاني في توجيه المعنى.

والحَرْفُ في اللغة هو الطَرَفُ، ومنه قولهم: حَرْفُ الجبل؛ أي: طرفه، وهو أعلاه المحدَّد

(Saʿīd 1988 13)، واختلف النحويون في علَّة تسميته حرفًا، ورجحوا أنه سُمِّي بذلك لأنه طرف في الكلام وفُضْلَة، ووقوع الحرف في وسط الجملة، نحو: مررت بزيد، لا يعني أنه ليس طرفًا في المعنى، لأنه لا يكون عمدة وإن كان متوسطًا (Al-Murādī 1992 24). وسُمِّيت حروف المعاني بذلك لأنها توصل معاني الأفعال إلى الأسماء، وهذه الحروف هي قسيمة الأسماء والأفعال؛ أي: تجيء مع الأسماء والأفعال لمعان، وتكون عوضًا عن جمل، وتفيد معناها بأوجز لفظ، فكل حروف المعاني تفيد فائدتها المعنوية مع الإيجاز والاختصار، وكلها تنوب عن الأفعال التي بمعناها؛ فحروف العطف تنوب عن (أعطف)، وحروف الاستثناء تنوب عن (أستثني)، وهكذا، وأشهر حروف المعاني هي: حروف العطف، وحروف الجر، وأسماء الظروف، وحروف الاستثناء، وحروف الشرط (Saʿīd 1988 13)، ويبدو أن حروف المعاني تشمل بعض الأسماء مثل: إذ وإذا الظرفيتين، وقد عُبِّر عنها بالحروف تغليبًا للأكثر (Al-ʿAṭār n. d. 1: 436).

لقد أشار القرآن الكريم إلى توقيت تحديد جنس الجنين في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ۝ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥، ٤٦]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [فاطر: ١١]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾ [القيامة: ٣٧ - ٣٩]، فقد امتنَّ الله تعالى على عباده بأن خلقهم وجعلهم أزواجًا؛ ذكورًا وإناثًا، بل إن تقديم لفظ الجلالة على فعل الخلق في آية فاطر أفاد قصر القدرة على هذا الخلق وتمايز الجنسين بالله تعالى ونفيها عمن سواه، كما يبدو أن الخطاب فيها موجه للناس كافة؛ لمن يجهل أو ينكر قدرة الله وفضله، ولمن يدرك هذه القدرة وهذا الفضل ويقر بهما؛ إذ إن استعمال أسلوب القصر بتقديم ما حقه التأخير يفيد ذلك (Nawaya et al. 2022). ويُلاحظ أن ثلاثةً من حروف المعاني -وهي إذا وثم والفاء- وردت كل منها في آية من هذه الآيات الثلاثة، وتنوعُّ هذه الحروف أدى إلى تنوُّع المعاني التي تشير إليها الآيات الكريمات، وهذا ما سيأتي بيانه في سياق هذا البحث.

يهدف البحث إلى تبيان أثر حروف المعاني في توجيه المعنى من خلال إجراء دراسة تطبيقية على الآيات الكريمة التي تتحدث عن توقيت تحديد جنس الجنين في القرآن الكريم، وقد تم اختيار هذا الموضوع لوجود ثلاث آيات تتحدث عنه تحوي كل واحدة منها أحد حروف المعاني، وبالتالي يمكن من خلال دراسة الأقوال التي قيلت في تفسيرها تحديد تأثير وجود هذه الحروف في الآيات على توجيه معانيها، وبيان كيف يؤدي الفهم الصحيح لهذه الحروف إلى قبول بعض الأقوال التفسيرية وردِّ بعضها الآخر.

منهجية البحث

اعتُمِد في البحث المنهج التحليليّ النقدي، حيث جُمِعت الأقوال التفسيرية التي قيلت في الآيات المدروسة، ودُرِست دراسة تحليلية لتحديد أثر حروف المعاني في توجيه معاني الآيات، وتم من خلال معاني هذه الحروف الترجيح بين الأقوال التفسيرية، وقبول بعضها وردِّ بعضها الآخر، كما تمت العودة إلى أمَّات المراجع المتعلقة بعلم الجنين وطب التوليد من أجل تجلية دقة المعاني التي أدتها حروف المعاني.

تم في هذه الدراسة إجراء استقراء تام لما ورد في أهم إلى التفاسير المعاصرة للقرآن الكريم حول تفسير الآيات موضوع الدراسة، مع العودة إلى غيرها عند الحاجة، وهذه التفاسير هي: محاسن التأويل للقاسمي (المتوفى ١٣٣٢هـ)، والجواهر في تفسير القرآن لجوهري (المتوفى ١٣٥٨هـ)، وتفسير المراغي للمراغي (المتوفى ١٣٧١هـ)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (المتوفى ١٣٩٣هـ)، والتفسير القرآني للقرآن للخطيب (المتوفى ١٤٠٦هـ)، وبما أن هذه الدراسة التطبيقية تتضمن موضوعًا مهمًا من مواضيع العلم التجريبي وهو توقيت تحديد جنس الجنين فقد كان من المفيد العودة إلى أمَّات المراجع العلمية المتعلقة بهذا الموضوع.

نتائج البحث ومناقشتها

دلالة (إذا) على خلق الذكروالأنثى من النطفة

تنبَّه المفسرون إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ۝ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ من إشارة إلى إبداع إنشاء الذكر والأنثى من المني الحامل للنطف الذي يُدفَق في الرحم أو يُصبُّ فيه (Al-Qāsimī 1418H 9: 83; Jawharī 1351H 23:232; Al-Marāghī 1946 25: 72)، وإلى أن اسم الزمان في الآيات يشير إلى سرعة الخلق عند دَفْق النطفة في رحم المرأة؛ فإنه عند التقاء النطفتين يبدأ تَخَلُّق النسل (Ibn ʿĀshūr 1984 27: 146)، ويكون الذكر والأنثى من الماء الواحد حسب تدبير الله سبحانه وتقديره (Al-Khaṭīb n. d. 14: 619).

(إذا) اسم مبني على السكون، مشبَّه بالحرف، يُعَد في أصل استعماله ظرفًا دالًّا على ما يُستقبل من الزمان، مع إمكانية استخدامه في سياقات ما مضى، وما استمر من الزمان، وقد يتضمن معنى الشرط وأحيانًا المفاجأة، ويدخل على المتعيّن وقوعه أو الراجح، وهي بذلك قد تأتي ظرفية صرفة أو ظرفية شرطية أو ظرفية فجائية، وهي في قوله تعالى: ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ ظرفية صرفة (Al-Sharīf 1996 175, 183). وجد المفسرون في استعمال (إذا) الظرفية في قوله تعالى: ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ إشارة إلى تحديد جنس الجنين إن كان ذكرًا أو أنثى عند التقاء نطفتي الأب والأم، فهل تدل (إذا) على

هذا المعنى؟ الأصل في (إذا) أن تكون ظرفًا للمستقبل متضمِّنة معنى الشرط غالبًا، وتُضاف إلى جملة مصدَّرة بفعل ظاهر أو مقدَّر قبل اسم يليه فعل (Al-Suyūṭī n. d. 2: 178). وقد تخرج عن الاستقبال إلى الحال بعد القسم، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]؛ لأنها ظرف لفعل القَسَم وهو إنشاء، لا إخبار عن قَسَم يأتي. أو تخرج عن الشرطية فتكون بمعنى (حين)، ويدل على ذلك عدم اقتران جوابها بالفاء عند تحقق شروط الاقتران، كأن يكون جوابها جملة اسمية مثلًا غير مقترنة بالفاء، فيدل هذا على خروجها عن الشرطية، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]؛ أي: حين يغضبون يغفرون، كما تخرج عن الشرطية بعد القسم، ففي قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ لو كانت (إذا) شرطية كان ما قبلها جوابًا في المعنى، ويكون التقدير: إذا يغشى الليل أقسمتُ، وهذا ممتنع. أما إن دلت على الفجأة فتكون إذا الفجائية التي لا تحتاج إلى جواب ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال لا الاستقبال، وهي تختص بالدخول على الجملة الاسمية (Ibn Hishām 2012 91-103).

وبالنظر في قوله تعالى: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنى﴾ يُلاحَظ أنه ليس أي من هذه الشروط السابقة محققًا في الآية، فلم تخرج (إذا) فيها عن الاستقبال إلى الحال، ولم تخرج عن الشرطية فتصبح بمعنى حين، كما لا يصح أن تكون هي (إذا) الفجائية لأنها تختص بالدخول على الجملة الإسمية، وبالتالي: فإن (إذا) في الآية ظرف للمستقبل تتضمن معنى الشرط.

ومع كل ما سبق، فإن الآية الكريمة تدل حقًا على سرعة بدء تخلُّق الزوجين بعد إمناء النطفة كما ذهب المفسرون، وبيان ذلك أن (إذا) تُستعمَل في الشرط المتحقِّق وقوعه ولِمَا كَثُر وقوعه (Sībāwīh 1988 3: 60)، ولذا فإن فعل الشرط بعدها غالبًا ما يكون فعلًا ماضيًا، فاذا جاء فعلًا مضارعًا فلا بد من أن يكون وروده بهذه الصيغة لدلالة معينة، وقد ظهر من خلال استقراء مواضع ورود فعلها مضارعًا وجوابه ماضيًا في القرآن الكريم أن ذلك يشير إلى أن جواب الشرط يتحقق فور بدء حدوث فعل الشرط، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ [لقمان: ٧]، تدل الأفعال في الآية على أن الكافر يولّي مستكبرًا من أول آية يسمعها لشدة كفره، أما قوله: ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾ [القصص: ٥٣]، ففيه بيان لحال المؤمنين الذين يقولون قولتهم تلك من أول آية تُتلى عليهم لشدة إيمانهم (Zaidān 2005). فإذا نظرنا في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ نجد أن فعل الشرط جاء مضارعًا، وأن جواب الشرط محذوف لوجود ما يدل عليه، وهو الفعل الماضي (خلق) المتقدِّم؛ والتقدير: (إذا تُمنى النطفة خلق الزوجين؛ الذكر والأنثى، منها)، وفي هذا إشارة إلى أن خلق الذكر والأنثى يتحقَّق مع بدء إمناء النطفة وحدوث الإلقاح. والنطفة في أصل اللغة هي الماء الصافي؛ قلَّ أو كَثُر، أو هي القطرة

منه، والواحدة: نطفة، والجمع: نُطَف (Al-Farāhīdī n. d. 7: 437; Al-Fayūmī n. d. 2: 611)، وشاع استعمالها في الماء القليل؛ حيث تسمية العرب: النطفة، يقولون: هذه نطفة عذبة؛ أي: ماء عذب (Al-ʿAskarī n. d. 311)، ثم كَثُر استعمالها في المني الذي يكون منه الولد حتى صار عند الاطلاق لا يُعرَف بها غيره (Al-ʿAskarī n. d. 311; Al-Farāhīdī n. d. 7: 437). ويطلق الشرع الحكيم لفظ النطفة على الماء الجنسي بصرف النظر عن مصدره، فتدل على كل من ماء الرجل وماء المرأة (Al-Fayūmī n. d. 2: 611)، كما أن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢] إشارة مُحتملَة إلى اللاقحة، وبالتالي: فالنطفة المذكرة (الحيوان المنوي)، والنطفة المؤنثة (البويضة)، والنطفة الأمشاج (اللاقحة) كل واحدة منها نطفة.

دلالة (ثم) و(الفاء) على تكوين الذكر والأنثى بعد الخلق والتسوية

اتخذ المفسرون مواقف متباينة من ترتيب توقيت تحديد جنس الجنين في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ۞ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾، كما يأتي:

الموقف الأول

تفسير الآيات كما وردت دون تعقيب على أثر حروف العطف؛ فقالوا: إن في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ إشارة إلى تنويع خلق الإنسان ذكورًا وإناثًا لطفًا من الله ورحمة منه (Al-Qāsimī 1418H 8: 162; Al-Khaṭīb n. d. 11: 860)، كما رأوا أن في الآية إشارة إلى جَعْل صنفي الذكور والإناث بقدر معلوم بحيث يكاد الفريقان يستويان عددًا، ولو لم يكن كذلك لفني الإنسان والحيوان؛ إذ إن حفظ النوع لا يتم إلا بتلك المساواة على وجه التقريب، ولا تكون المساواة إلا بتدبير وعلم (Jawharī 1351H 17: 13; Al-Marāghī 1946 22: 113).

كما لم يعلِّقوا على أثر العطف بالفاء في قوله: ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّى ۞ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ واكتفوا بالقول: إن الإنسان خُلِق من ماء ثم كان قطعة دم جامد فقدَّر الله أعضاءه وسواها لأعمالها وعدلها، فجعل بعضه من صنف الذكور وبعضه من صنف الإناث لبقاء نوعه، وليعمر الدنيا إلى الأجل الذي كتبه وقدره (Al-Qāsimī 1418H 9: 371; Jawharī 1351H 24: 302).

الأصل في (ثم) أنها حرف عطف، إلا أنها قد تأتي أحيانًا حرف استئناف، وتفيد التشريك في الحكم والترتيب مع التراخي غالبًا، وتأتي تفصيلًا: استئنافية أو عاطفة للاستبعاد أو عاطفة للترتيب أو عاطفة بمعنى الواو أو عاطفة للتوكيد أو عاطفة للتراخي، والراجح أنها في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ عاطفة للتراخي (Al-Sharīf 1996 614, 621)، أما الفاء فليست من باب

واحد؛ فقد تكون للعطف أو للاستئناف أو محتملة للعطف وللاستئناف أو للسببية أو للتعليل أو للتوكيد أو للجزاء أو في مقام فاء الجزاء أو الفصيحة أو لجواب الموصول، وهي في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ للعطف، وتفيد الترتيب والتعقيب (Al-Sharīf 1996 679, 748).

ويلاحظ من خلال النظر في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى۞ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾، إشارة إلى أن جَعْل وتكوين الذكور والإناث يحدث في مرحلة تالية للنطفة الأمشاج وليس فور تشكُّلها؛ فالعطف يدل على المشاركة بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم، فإذا كان العطف بالفاء فيدل على الترتيب والتعقيب، وإذا كان بثم فيدل على الترتيب والتراخي (Ibn Hishām n. d. 3: 320-326; Saʿīd 1988 23, 60). والناظر في الآيات، مع عِلْمه معاني حروف العطف قد لا يقع على الغاية من استخدامها في تلك الآيات، وعلى أسرار الفرق بين هذه الآيات وآيتي سورة النجم السابقتين، فيمررها كما جاءت، ويجد في وجوه الحكمة الكثيرة الأخرى غنى عن البحث في دلالة حروف العطف، كما فعل أصحاب هذا الموقف.

الموقف الثاني

نبَّه أصحابه إلى أثر العطف بالفاء وثم، ودلالتيهما على الترتيب، ولكنهم بيَّنوا حِكَم بعض حروف العطف تلك، وأعرضوا عن بعض، بل إنهم عدلوا بها عن معناها، فجعلوا تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾: "ثم من نطفة وقد جعلكم أزواجًا لتركيب تلك النطفة" (Ibn ʿĀshūr 1984 22: 276).

بيَّن هذا الفريق دلالة العطف بثم في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ على الترتيب الرتبي، فخلق البشر الأول كان من التراب، ثم كان خلق النسل من النطفة، لكنهم بعد ذلك قالوا: إن معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾: "ثم من نطفة وقد جعلكم أزواجًا لتركيب تلك النطفة" (Ibn ʿĀshūr 1984 22: 276)، فلم يبيّنوا غرض العطف بثم هنا، بل أتوا بمعنى معاكس لظاهر الآيات؛ حيث جعلوا (أزواجًا) تعود على الوالدين اللذين منهما النطفة، وليس على النسل الناتج عنها. وبالنظر في الآيات نجدها تتحدث عن مراحل الخلق والتكوين، وجميع المراحل المذكورة فيها من التراب إلى النطفة إلى العلقة إلى التسوية مرتبة زمنيًا، وهذا يرجِّح أن الترتيب الزمني يمتد إلى تحديد جنس الجنين أيضًا، فيكون جعل وتكوين الزوجين في الآيات تاليًا للخلق والتسوية، ناتجًا عن مرور النطفة في مراحل النماء المتعاقبة، وليس سببًا لوجودها.

الموقف الثالث

تنبَّه أصحابه إلى دلالة الفاء وثم على الترتيب، ورأوا أن العطف بالفاء وبثم يدل على ترتيب الأحداث؛ فالنطفة أولًا، ثم العلقة، فتسوية الجسد وجعْله من عظم ولحم بشرًا سويًا، فجعْل الذكر والأنثى من هذا الخلق السوي (Al-Marāghī 1946 29: 157; ʾIbn ʿĀshūr 1984 29: 368; Al-Khaṭīb n. d. 15: 1346).

أشار هذا الفريق إلى دلالة الفاء وثم على الترتيب، فقالوا بتمايز الجنسين بعد العلقة وبعد التسوية، وأن هذا يعنى أن خلق المرأة والرجل يجرى على نسق واحد، ويقع على صورة واحدة، حتى إذا اكتمل خلق الإنسان، انقسم إلى مخلوقين، أحدهما ذكر والآخر أنثى، وبالرجل والمرأة يتم للإنسان وجوده (Al-Khaṭīb n. d. 15: 1347)، وهذا القول يتوافق مع ظاهر الآيات الكريمات.

ولكن: متى يتحدَّد جنس الجنين حقيقة؟ وكيف يكون التوفيق بين آيتي سورة النجم من جهة، وآيات سورتي فاطر والقيامة من جهة أخرى؟

أشار القرآن الكريم إلى توقيت تحديد جنس الجنين في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ۝ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥، ٤٦]، ولاحظ بعض المفسرين أن في الآيات إشارة إلى أن خلق الجنين وتحديد جنسه يحدث نتيجة إمناء النطفة وتشكُّل النطفة الأمشاج كما في قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢]، كما أشار القرآن الكريم إلى توقيت تحديد جنس الجنين أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [فاطر: ١١]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾ [القيامة: ٣٧ - ٣٩]، وقد ذكر بعض المفسرين أن في هذه الآيات الكريمات إشارة إلى أن جَعْل وتكوين الذكور والإناث يحدث في مرحلة تالية للنطفة الأمشاج وليس عند إمناء النطفة. فهل يكون تحديد الجنس في مرحلة النطفة كما في آيتي سورة النجم؟ أم في مراحل تالية كما تشير آيات سورتي فاطر والقيامة؟

يتحدد جنس الجنين الصبغي وراثيًا -كما بينتُ سابقًا- وقت الإخصاب اعتمادًا على ما تحمله نطفة الذكر من الصبغيات؛ أي: الصبغي Y أو X، ومع ذلك فإن الغدد التناسلية لا تكتسب الميزات الشكلية الذكرية أو الأنثوية قبل الأسبوع السابع من النماء، حيث تظهر الغدد التناسلية بدايةً على شكل زوج من الحواف الطولانية تُسمَّى بالحواف التناسلية Gonadal ridges، ولا تظهر الخلايا الجنسية فيها Germ cells حتى الأسبوع السادس بعد الإخصاب، ويستحيل قبل ذلك الوقت تمييز الغدد التناسلية أذكرية هي أم أنثوية؛ لهذا تُعرَف هذه الغدد باسم الغدد التناسلية المحايدة Indifferent gonad (Beckmann et al. 2010 31; Sadler 2012 244; Moore et al. 2016 175).

DOI: 10.18860 /ijazarabi.v5i3.17226
ISSN(print): 2620-5912 | ISSN(online): 2620-5947

تتطور الغدد التناسلية خلال الأسبوع الخامس على شكل ثخانات في الظهارة المتوسطة على الجانب الأنسي من الكلية المتوسطة، ثم تنمو الثخانات الظهارية على شكل استطالات إصبعية الشكل باتجاه النسيج الميزانشيمي الواقع أسفل منها، فتصبح الغدد التناسلية غير المتمايزة مؤلفة من حبال قشرية خارجية، وحبال لبية داخلية (Moore et al. 2016 174).

تظهر الخلايا الجنسية البدئية Primordial germ cells أولًا في الأسبوع الثاني من النماء بين خلايا الأديم الباطن في جدار الكيس المحي Yolk sac قريبة من السقاء Allantois، وتهاجر بحركة أميبية Ameboid movement لتصل إلى الغدد التناسلية في بداية الأسبوع الخامس، وتخترق الحواف التناسلية في الأسبوع السادس، وتندمج مع حبال الغدد التناسلية، وتتمايز في النهاية إلى بويضات Oocytes أو حيوانات منوية Sperms، وإذا فشلت هذه الخلايا الجنسية البدئية في الوصول إلى الغدد المحايدة غير المتمايزة فإن الغدد لا تنمو وتبقى محايدة أو غير متمايزة أو غائبة؛ وبهذا يتضح التأثير التحريضي للخلايا الجنسية البدئية على نمو الغدد التناسلية وتمايزها إلى مبيض Ovary أو خصية Testis (Beckmann et al. 2010 31; Sadler 2012 244, 259; Moore et al. 2016 175).

تُعَدُّ عملية التمايز الجنسي عملية معقدة تتطلب تدخُّل العديد من الجينات بما في ذلك بعض الجينات المرتبطة ببعض الصبغيات الجسدية، ويُعَدُّ جين المنطقة المحددة للجنس على الصبغي واي SRY (Sex-determining region on Y) العامل الأهم في هذا التمايز، حيث يشفِّر هذا الجين بروتين المنطقة Y المحددة للجنس، والذي يُسمَّى أيضًا بالعامل المحدِّد للخصية TDF (Testis-Determining Factor)، يبتدئ هذا البروتين شلالًا من النشاط الجيني الذي يحدد مصير الأعضاء التناسلية الأولية، ويحدث النماء الذكري تحت تأثير هذا الجين والبروتين المتولد عنه، ويتم في حال غيابه النماء الأنثوي (Sadler 2012 243)، فإذا كان الجنين ذكرًا من الناحية الوراثية، فستحمل الخلايا الجنسية البدائية -التي تهاجر من جدار الكيس المحي إلى الحواف التناسلية التي ستكوِّن الغدد التناسلية فيما بعد- المعقد الجيني الجنسي XY، وتحت تأثير الجين SRY الموجود على الذراع القصير للصبغي Y والعامل المحدد للخصية الناتج عنه ستتنامى الحبال اللبية الداخلية في الغدد التناسلية إلى حبال خصيوية، وتفشل الحبال القشرية الخارجية في التنامي مؤدية في النهاية إلى تشكيل الخصية. بالمقابل، في الأجنة الإناث ذوات المركب الصبغي XX وفي ظل غياب الصبغي Y وبالتالي غياب الجين SRY، سوف تتنكس الحبال اللبية الداخلية، وتتنامى الحبال القشرية الخارجية، مؤدية في النهاية إلى تشكيل المبيض (Sadler 2012 244; Moore et al. 2016 175). وتعود جميع الاختلافات البيولوجية بين الجنسين إلى عدم التماثل في آثار الصبغيات الجنسية، وهي

العوامل الوحيدة التي تختلف بين اللاقحات الحاملة للصبغيات XX وتلك الحاملة للصبغيات XY، ويؤدي هذا التفاوت إلى ظهور تأثير الصبغي Y الخاص بالذكور، بما في ذلك التعبير عن الجين SRY الذي يسبب تمايز الخصيتين، وهكذا يؤدي هذا الجين إلى إحداث اختلافات جنسية مدى الحياة من خلال تأثيراته في هرمونات الغدد التناسلية، إضافة إلى عمل الجينات المحمولة على الصبغي Y أيضًا خارج الغدد التناسلية مسببة ظهور الصفات الخاصة بالذكور (Arnold 2017).

يمكن من خلال إمعان النظر في الآيات ملاحظة أن القرآن الكريم استخدم الفعل (خلق) عندما أشار إلى تحديد جنس الجنين في مرحلة النطفة، بينما استخدم الفعل (جعل) عندما أشار إلى تحديد جنس الجنين في المراحل التالية. والخلق في الأصل: التقدير، ويُستعمَل للتعبير عن إبداع الشيء من غير أصل ولا نموذج سابق، أما الجعل: فالأصل فيه أنه يُستخدَم في التعبير عن إيجاد شيء من شيء، وتكوينه منه بعد أن كان، أو في تصيير الشيء على حالة معينة (Al-Rāghib 1412H 197, 297)، فالخلق هو إيجاد المخلوق على الصورة التي أرادها الله سبحانه وتعالى له، أما الجعل: فهو إعطاء المخلوق الصفة الوظيفية التي يقوم بها؛ أي أن الخلق إبداع، والجعل تسخير وتسيير (Al-Khaṭīb n. d. 15: 1347).

وبالعودة إلى الآيات الكريمات نجد أن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ۝ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ يتحدث عن بداية خلق الإنسان وتقديره في مرحلة النطفة، فكان المناسب استعمال الظرف (إذا)، وورود فعله مضارعًا وجوابه ماضيًا للدلالة على أن جواب الشرط يتحقق فور بدء حدوث فعل الشرط كما سبق تفصيله، واستعمال الفعل (خلق) الدال على الإيجاد، وكان المناسب هنا ذِكْر ما يرافق هذا الإيجاد من تحديد الجنس الصبغي الذي يتحدَّد مع تكوين النطفة الأمشاج التي يُخلَق منها. أما قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾، فالكلام في هذه الآيات كما هو بَيِّن عن مرحلة من مراحل النماء يمرُّ بها الجنين، بعد أن مرَّ بمرحلة النطفة ثم العلقة وصولًا إلى التسوية، ثم جَعْله ذكرًا أو أنثى، فكان المناسب هنا استعمال العطف بـ (الفاء) وبـ (ثم)، واستعمال الفعل (جعل) الذي يدل على التصيير وإعطاء الصفة الوظيفية لهذا الجنين الذي كان موجودًا سابقًا، فتتمايز أعضاؤه الجنسية، ويتحدَّد جنسه العضوي.

تشكِّل المعطيات السابقة مثالًا واضحًا عن دقة القرآن الكريم في استعمال حروف المعاني وانتخابه لكلٍّ منها بما يخدم المعاني الدقيقة التي يرمي إليها، كما يُظهِر تمايز الأفعال في الآيات ومناسبتها لحروف المعاني المستخدَمة مثالًا جديدًا عن دقة التعبير القرآني، وأنموذجًا للإعجاز

البياني، إضافة إلى أن النتائج تبيّن أهمية الفهم الدقيق للمعاني التي تضفيها حروف المعاني على النص، وبالتالي أهمية إتقان معانيها لكل من يريد تعلُّم اللغة العربية.

الخاتمة

يمكن من خلال استعراض أقوال المفسرين ومناقشتها والتركيز على أثر حروف المعاني في توجيههم لمعاني الآيات الكريمة المتعلِّقة بتوقيت تحديد جنس الجنين أن نستخلص النتائج التالية: تُبرِز الدراسة الحالية أهمية حروف المعاني في توجيه المعنى، وكونها مما لا يُستغنى عنه في فهم النصوص، ويشكل التوجيه الصحيح للمعاني التي تضفيها هذه الحروف أحد معايير قبول أو رد الأقوال التفسيرية للنص القرآني، وهو ما يمكن تعميمه على النصوص عامة كون القرآن الكريم كتاب العربية الأول.

تشير دلالات (إذا) في آيتي سورة النجم، وورود فعلها مضارعًا وجوابها محذوفًا يدل عليه الفعل الماضي (خلق) المتقدِّم، إلى أن جواب الشرط يتحقق فور بدء حدوث فعل الشرط؛ أي: إن خَلْقَ الذكر والأنثى يتحقَّق مع بدء إمناء النطفة، وبالتالي فإن الآيتين تتحدثان عن توقيت تحديد الجنس الصبغي للجنين الذي يحدث مع إمناء النطفة وحدوث الإلقاح.

يفيد ورود (ثم) التي تدل على الترتيب والتراخي، والفاء التي تدل على الترتيب والتعقيب في آيات سورتي فاطر والقيامة أن تحديد جنس الجنين يحدث في مراحل متقدمة من النماء الجنيني، وبالتالي فالآيات تتحدث عن توقيت تحديد الجنس العضوي للجنين المتمثِّل بتشكُّل أعضائه التناسلية التي تميزه عن الجنس الآخر.

أمكن من خلال العودة إلى أمَّات المراجع المتعلِّقة بعلم الجنين وطب التوليد تجلية دقة المعاني التي أدتها هذه الحروف في الآيات المتعلِّقة بتوقيت تحديد جنس الجنين سواء الصبغي أم العضوي. يوصى بإعطاء حروف المعاني مزيدًا من الاهتمام في العملية التعليمية، لشيوع استعمالها في اللسان العربي، ولما لها من تأثير كبير على المعاني التي يحملها الكلام ويؤديها، ففهم معاني هذه الحروف وإدراك مناسبتها للسياق الواردة فيه يشكل عاملًا حاسمًا في فهم مراد المتكلم، والله تعالى أعلم.

REFERENCES

Al-Qur'an.

Al-ʿAskarī, al-Ḥasan bin ʿAbd Allah (n. d), al-Furūq al-Lughawiyah, ed. Muḥammad Ibrāhīm Salīm, no edition, Cairo: Dār al-'Ilm wa al-Thaqāfah.

Al-ʿAṭār, Ḥasan bin Muḥammad (n. d), Ḥāšīyaẗ al-ʿAṭār ʿala šarḥ al-Ǧalāl al-Maḥalī ʿala Ǧamʿ al-Ǧawāmiʿ, no edition, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyah.

Al-Farāhīdī, al-Khalīl bin ʾAḥmad, Kitāb al-ʿAīn (n. d), ed. Mahdī al-Makhzūmī wa ʾIbrāhīm al-Sāmirrāʾī, no edition , Beirut: Dār wa Maktabat al-Hilāl.

Al-Fayūmī, Aḥmd bin Muḥammad (n. d), al-Miṣbāḥ al-Munīr fī Gharīb al-Sharḥ al-Kabīr, no edition, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyah.

Al-Khaṭīb, ʿAbd al-Karīm Yūnis (n. d), al-Tafsīr al-Qurʾānī li al-Qurʾān, no edition, Cairo: Dār al-Fikr al-ʿArabī.

Al-Marāghī, ʾAḥmad bin Musṭafā (1946), Tafsīr al- Marāghī, 1st edition, Cairo: Maṭbaʿat Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī.

Al-Murādī, Ḥasan bin Qāsim (1992), al-Ǧana al-Dānī fī Ḥurūf al-Maʿānī, ed. Faḫr al-Dīn Qabāwah wa Muḥammad Nadīm Fāḍil, 1st edition, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyah.

Al-Qāsimī, Muḥammad Jamāl al-Dīn (1418H), Maḥāsin al-Ta'wīl, ed. Muḥammad Bāsil ʿUyūn al-Sūd, 1st edition, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyah.

Al-Rāghib al-ʾAṣfahānī, al-Ḥusaīn bin Muḥammad (1412H), al-Mufradāt fī Gharīb al-Qurʾān, ed. Ṣafwān ʿAdnān al-Dāwūdī, 1st edition, Damascus: Dār al-Qalam.

Al-Šarīf, Muḥammmd Ḥasan (1996), Muʿǧam Ḥurūf al-Maʿānī fī al-Qurʾān al-Karīm, 1st edition, Beirut: Muʾasasat al-Risālah.

Al-Suyūṭī, ʿAbd al-Raḥman bin Abī Bakr (n. d), Hamʿ al-Hawāmiʿ fī Sharḥ Jamʿ al-Jawāmiʿ, ed. ʿAbd al-Ḥamīd Hindāwī, no edition, Cairo: al-Maktabah al-Tawfīqīyah.

Arnold, A. P. (2017). A general theory of sexual differentiation. Journal of neuroscience research, 95(1-2), 291-300.

Beckmann CR, Ling FW, Barzansky BM, Herbert WN, Laube DW, Smith RP. (2010). Obstetrics and Gynecology, 6th Edition, Lippincott Williams & Wilkins, a Wolters Kluwer business.

ʾIbn ʿĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir bin Muḥammad (1984), al-Taḥrīr wa al-Tanwīr, no edition, Tūnis: al-Dār al-Tūnissiyya.

Ibn Hishām, ʿAbd Allāh bin Yūsuf al-Anṣārī (2012), Muġnī al-Labīb ʿan kutub al-ʾaʿārīb, ed. Māzin al-Mubārak wa Muḥammad ʿAlī Ḥamdallah, 1st edition, Beirut: Dār al-Fikr.

Ibn Hishām, ʿAbd Allāh bin Yūsuf al-Anṣārī (n. d), Aūḍaḥ al-Masālik ilā alfiyat Ibn Mālik, ed. Yūsuf al-Buqāʿī, no edition, Beirut: Dār al-Fikr.

Jawharī, Ṭanṭāwī (1351H), al-Jawāhir fī Tafsīr al-Qurʾān al-Karīm, no edition, Cairo: Maṭbaʿat Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī.

Moore, K. L., Persaud, T. V. N., & Torchia, M. G. (2016). The developing human-e-book: clinically oriented embryology, 10th Edition, Elsevier Inc.

Nawaya, F. R., Burhan, A. S., Asaad, A. M., & Alkhulee, Z. H. H. (2022). The Effect of Restriction Style on the Meaning: Theory And Practice/ أثر أسلوب القصر في المعنى بين النظرية والتطبيق. Ijaz Arabi Journal of Arabic Learning, 5(1):266-286.

Sadler T.W. (2012), Langman's Medical Embryology,12th Edition, Lippincott Williams & Wilkins, a Wolters Kluwer business.

Saʿīd, Maḥmūd (1988), Ḥurūf al-Maʿānī Bayna Daqāʾiq al-Naḥwi wa Laṭāʾif al-Fiqh, no edition, Banha University, Faculty of Literature.

Sībāwīh, ʿAmr bin ʿUthmān al-Ḥārithī (1988), al-Kitāb, ed. ʿAbd al-Salām Hārūn, 3rd edition, Cairo: Maktabat al-khānjī.

Zaidān, ʿAbd al-Jabbār Fatḥī (2005), (Idhā) fī al-Qurʾān al-Karīm, Dirāsat Naḥwiyah.

Journal of Basic Research of the College of Education, University of Mosul, 2(4): 137- 159.